2755
1217

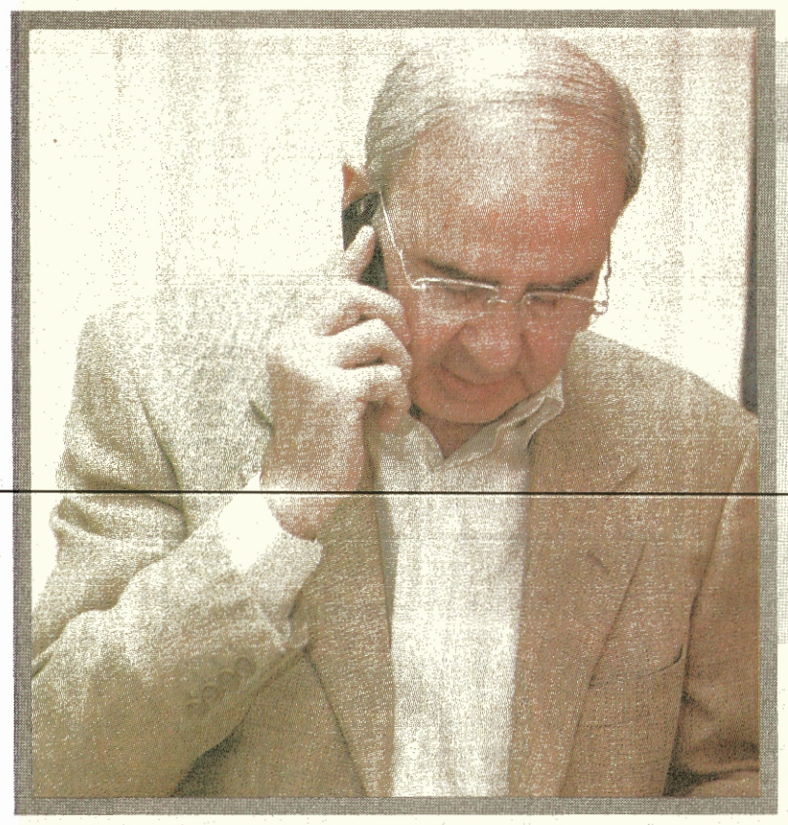

الحلقة ٢٩

طاهر المصري ضمير السياسة الأردنية.. الرجل الذي لا يضيع بوصلته (١١-١٢)

هل يمكن العثورعلى سياسي أردني واحد لديه الجرأة أو المزاج أو قدرة التحكّم بلسانه بحيث يكتفي بالحديث «بعيداً عن السياسة»،وفي هذا الوقت بالذات؟ نقصد في فصل «الربيع العربي» الذي أصبح فيه كل شيء سياسة، وسياسة تعوم في فائض الشك ونكهات الريبة ومحفزات رفع الصوت.

في السنوات الماضية وحتى فترة غير بعيدة ،كان الحديث «بعيدا عن السياسة «مغريا وممتعا للسياسيين المحترفين. فما يعرفونه ويجهله الشارع، هو أكثر بكثير مما يودّون الخوض فيه. الآن تغير الوضع واختلطت بعض الاشارات الحمراء بالصفراء بالخضراء..

حديث السياسي «بعيداً فعلاً عن السياسة» بات وكأنه تهمة بالغياب عن الصورة أو انعدام الموقف أو شبهة بجفاف الذاكرة .

ذوات سبق وتحدثوا «بعيداً عن السياسة » وكانوا ممتعين في سردهم الهادئ، اختلفت نبرة الكثيرين منهم هذه المرّة. حديثهم أضحى أكثر إثارة بالمواقف وأثرى بالتفاصيل التي وإن كان عمرها أكثر من خمسين سنة إلا أنها تأتي موصولة بالذي نراه الآن ويفاجئنا .

الحكي «هذه المرة » له ميزة أخرى. فهو يكشف أن العديد من رجالات الدولة الذين لم نكن نرى منهم سوى صفحة التجهم واليباس، هم بعد التقاعد أصحاب بديهة رائقة وتسعفهم النكتة عندما تحرجهم الأسئلة.

ملك التل

المصري يكشف السر الذي لا يعرفه الكثيرون:

الحسين دمعت عيناه عندما اضطر لدخول مفاوضات السلام ومؤتمر مدريد «حفاظاً على الأردن»

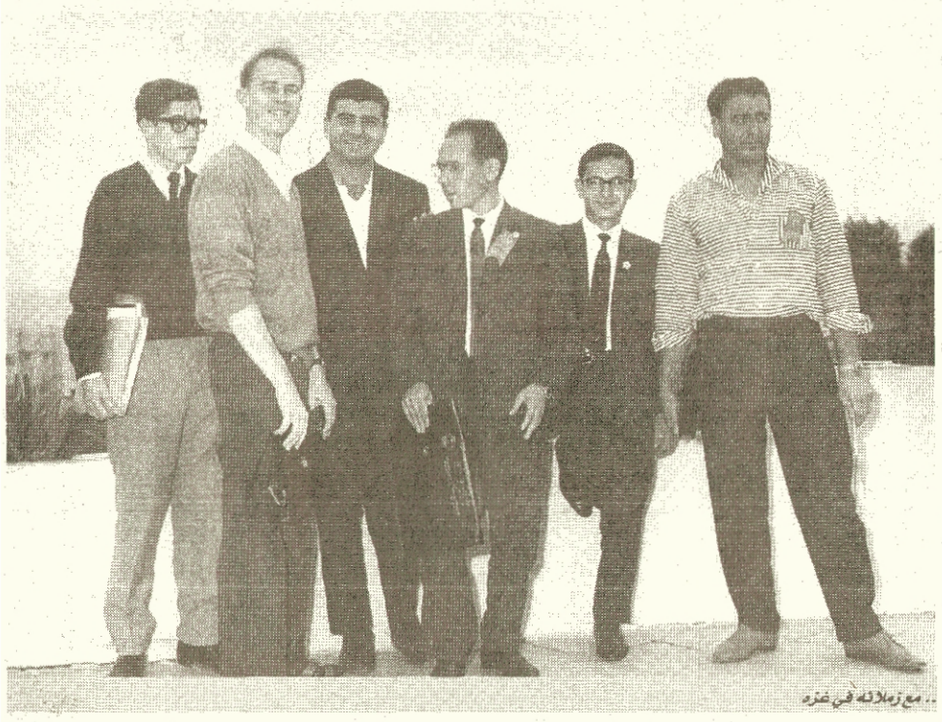

.. مع زملائه في غزه

المؤتمر الوطني الثاني لاتحاد طلبة فلسطين عام ١٩٦٢

تفاصيل لأول مرة عن ظروف استقالة الحكومة التي رفضها جلالته ثلاث أو أربع مرات ثم قبلها كاجراء يحمي التجربة الديمقراطية

من يريد أن يعرف لماذا وكيف تتعرقل جهود الإصلاح الراهنة فانه سيسمع من دولة طاهر المصري ذكريات من مطالع تسعينيات القرن الماضي تضيء على الذي يحصل الآن، وقد تمتد إضاءاتها على الحكومة الأولى التي ستعقب الانتخابات البرلمانية القادمة التي ستشهد – كما هو متوقع – تغييرات ملفتة في تشكيلات السلطتين التشريعية والتنفيذية.

أبو نشأت يستذكر في الحلقة التالية أن رغبة جلالة الحسين كانت واضحة في الاصلاح والتغيير لكسر العزلة التي وقع بها الأردن بعد احتلال الكويت، ولاستيعاب تداعيات هبة نيسان.

وضع جلالته يرحمه الله كتاب تكليف مطول لطاهر المصري يتضمن - لمن يقرأه الآن - صورة تفصيلية لمفهوم الإصلاح الذي بدأه الحسين بتقديم رجالات الصف الثاني. كان معروفاً سلفاً للحسين ولطاهر المصري أن الحكومة الإصلاحية ستواجه الزوابع، وفعلاً حصل. التفاصيل التي يوردها أبو نشأت تتضمن معلومات تنشر لأول مرة ليس فقط عن أسباب الرفض المكرر من طرف جلالته للاستقالة ثم القبول بها وتقديرها كفداء للحفاظ على البرلمان والديمقراطية. كذلك يعرض ابونشأت هنا – وللمرة الأولى أيضا - تفاصيل عن الرسالة التحذيرية التي حملها دولته من العاهل المغربي إلى الحسين فأدمعت عينيه وهو يضطر لدخول مفاوضات السلام ومؤتمر مدريد.

■ كيف استطعت ان تواءم بين مسؤولياتك كوزير للخارجية في مرحلة مفاوضات مؤتمر مدريد، وبين قناعاتك الشخصية التي يعتقد الكثيرون أنها لم تكن تتطابق مع مجريات المفاوضات؟

بدأت مفاوضات مؤتمر مدريد في كانون الثاني من عام ١٩٩٢. أيامها ذهبت إلى طهران لأول مرة والتقيت مع القيادات النظامية ثم ذهبت في زيارة إلى المغرب العربي، وكانت آخر محطة لي في زيارة المغرب هي الرباط حيث التقيت الملك الحسن الثاني. قال لي: «معالي الوزير»،الدنيا تغيرت، ووضع الأردن أصبح بالذي ترونه خارج إطار كل التحالفات فأنتم لوحدكم في الأردن ومتمسكون بعقد مؤتمر دولي للموضوع الفلسطيني، وهذا لن يتم نهائياً. و أضاف قائلا: الأميركان قدموا مشروعهم وسوف

الحسن الثاني حمّلني رسالة واضحة للحسين تقول: سيبقى الأردن معزولاً إن لم تركبوا قطار المشروع الأمريكي. نقلت الرسالة للحسين في باريس والرئيس الفرنسي نقل للأمريكان موافقة الأردن فتحرك وزير خارجيتهم وأنطلق قطار مدريد

يسير، فلا تجعلوا قطار الحل يفوتكم، اركبوه وإلا ستبقون على الرصيف لوحدكم.. وأضاف ان جلالة الملك سيذهب إلى باريس.. فأخبرت الملك الحسن الثاني بأنني الليلة سألتحق بجلالته، وطلب مني بان أبلغ الحسين الرسالة «حيث ان الأمريكان ينتظرون قراراً منكم حول المؤتمر الدولي». وأضاف ان الملك الحسين سيرى ميتيران الذي يتوقع من الملك تغيير موقفه. هذا ما قاله لي ملك المغرب وكان كلاماً خطيراً جداً. وعندما وصلت باريس والتقيت بجلالة الحسين أخبرته برسالة الملك الحسن الثاني. جلالته «فهم الطابق» بشكل سريع جداً ودمعت عيناه وقال: توكلنا على الله، غداً سنقابل معاً الرئيس ميتيران. وتم ذلك حيث كان معه وزير خارجيته في الإيليزيه وأبدى جلالته الاستعداد للتعاون والتفاهم، ففهم ميتيران الرسالة وأبلغ الأميركان في الحال. ولأول مرة بعد غياب طويل جاء جيمس بيكر إلى الأردن بزياة ضمن جولاته للتحضير لمؤتمر مدريد وانطلق قطار مدريد بوجود الأردن.

■ وكأن الخارجية قادتك لكرسي الرئاسة؟

لم أكن على علم مسبق بأن الامور ستأخذ ذاك السياق: الملك الحسين يرى الصورة ببعد نظره ويحسب حساباً للمستقبل ويخطط له وأنني جئت وزيراً للخارجية قبل ستة أشهر تمهيداً لشيء ما. لذلك وأنا بوزارة الخارجية تحدث معي الشريف «الأمير» زيد بن شاكر يخبرني أن جلالته يدعوني للغداء. يومها جلسنا ومعنا الأمير زيد نقيم الأوضاع. قال لي الملك بابتسامة : أنت ستتولى هذه المرحلة.. فسألت كيف؟ قال جلالته: ستصبح رئيساً للحكومة.. فقلت له: أنا رئيس للحكومة؟!! قال: نعم.. فقلت لجلالته: لكن رئاستي للحكومة تعني..؟! قال أعلم ما ستقوله.. وقلت لجلالته بأن تكليفي هذا سيثير مشاكل.. فأجاب: توكل على الله.. خرجت والأمير زيد في السيارة، وسألته: يا أبو شاكر كيف حصل ذلك؟ أجابني: لا تقلق الملك يريدك.

■ يعني تكتيك مسبق؟

قد يظهر ذلك بكل تأكيد، لكن هذا غير صحيح وغير منصف وانما هو مجرد تزامن في الاحداث. جزء منه صحيح.. هناك دبلوماسية ومفاوضات.. الخ، لكن الأهم من ذلك أن الملك كان ينوي التغيير. فبعد أحداث الكويت، قام العرب والأوروبيون بعزلنا عن محيطنا وبتحجيم علاقاتنا. ثم انه بعد أحداث ١٩٨٩ كان الحسين يريد التغيير وإجراء الإصلاح. أراد أن يأتي برجال الصف الثاني ليكونوا في الصف الأول. بالنسبة لي كنت في هذا المجال، والدليل كتاب التكليف ومن يقرأه بتمعن «١٥ صفحة» يجد انه يشمل كل القضايا بما فيها المفهوم الإصلاحي. صحيح أن هناك موضوع مفاوضات، لكن الحقيقة أن هدف جلالته كان أبعد من موضوع المفاوضات، كان يريد إجراء إصلاحات. ولذلك كل من يعود لاستذكار أعضاء حكومتي يجدهم جميعاً من الشباب المتفتحين النشطاء المثقفين. وتلك كانت صفة الحكومة، إصلاحية.

■ وهاجمك النواب؟

نعم انشغلنا بهجومهم على الحكومة مثلما انشغلنا بموضوع جيمس بيكر والتحضير لمؤتمر مدريد والأمور السياسية الإقليمية.. ثلاثة أمور مهمة كنا مشغولين بها فلم نفعل الشيء الكثير، لكننا أنجزنا بعض الأمور. وإضافة إلى ما قلته فقد قمنا بتمرير الأردن من عنق الزجاجة.. لو حصل خلل في موضوع المفاوضات. ولو ان الأردن لم يدخل لكنا تأثرنا بشكل كبير جداً، لأن القطار كان يجب أن يسير. ولو بقينا على رصيف المحطة فقد كنا سنضيع. كان همنا كيف نحافظ على الكيان والوضع الأردني دون أن نخسر قناعاتنا وثوابتنا في موضوع الحل السياسي. وكما هو معروف فقد دخل الفلسطينيون معنا في وفد مشترك الى مدريد.

■ فشلت بإقناعهم بوجهة نظرك؟

نعم فشلت باقناعهم فهناك أشخاص قاومونا سياسيا مثل الإخوان المسلمين حيث كان موضوع المفاوضات ومدريد خطأ أحمر بالنسبة لهم فقاوموه. كثير من البرلمانيين وربما الرأي العام وبالذات الإسلاميين، اعتقدوا أن حكومة منفتحة مثل حكومتي ربما جاءت لتقاوم الإخوان المسلمين حيث كانوا يرون ان هناك خططاً أميركية للقضاء على الحركة الإسلامية، وهذا كلام غير صحيح. يضاف إلى ذلك ان هناك أشخاصاً لديهم اعتبارات خاصة ضيقة فقاومونا.

■ سبق وتشاورت مع الإخوان؟

نعم.. وأعترف بأني ارتكبت خطأ بالطريقة وبالأسلوب أثناء التشاور معهم مما عزز مخاوفهم من ان تكليفي بتشكيل الوزارة جاء ضدهم وسوف يتم تحجيمهم، فقاوموا الحكومة منذ البداية وتعززت مخاوفهم أكثر عندما لاحظوا الطابع القومي على الحكومة.

■ وسبب رفض جلالته استقالتك؟

لم يكن جلالته مقتنعاً بأسبابها، لذلك رفضها أكثر من ثلاث مرات حتى أقنعته فوافق.

■ ألم يحن الوقت لتوضيحات أكثر عن سبب استقالتك؟

نعم.. سأوضح وأقول ما لم يعلمه أحد: في شهر أيلول كانت العاصفة في البرلمان بدأت تتشكل. كنت قد قلت لجلالة الملك بأن الحكومة وقعت بمشكلة مع النواب في ظل التكتلات الجهوية والحزبية ضد الحكومة. وأضفت يومها: «اننا في وضع خطير، إذا سار قطار التسوية بدوننا فسننتهي، ولذلك أريد الاقتراح على جلالتكم بأن أستقيل، وتكليف غيري. وحتى لا يقال أنني تخليت عن المسؤولية خوفاً أو هرباً فإنني مستعد للعودة مع الحكومة الجديدة وزيراً للخارجية وأستلم موضوع المفاوضات. تفاجأ الملك وقال لي: هذا ليس ممكناً.. في اليوم التالي التقيت مع جلالته وسألني: ماذا سنفعل؟ قلت يا جلالة الملك ليشكل أبو شاكر الحكومة.. وكان جلالته قد سبق وعرضها عليه، أو أحمد عبيدات أو أحمد اللوزي. وفعلا طلب جلالته أبو شاكر وعبيدات واللوزي وعرض عليهم، فاعتذر اثنان عن القبول بحجج مختلفة، وقالوا لجلالته: طاهر مناسب ونحن سندعمه، فوافقت بتحمل المسؤولية أمام جلالته. ثم جاءت العريضة التي غيرت مجرى الأحداث. العريضة التي تم توقيعها من قبل ٥٠ نائباً، خارج الدورة وكان هناك نواب دون ذكر أسمائهم ممكن أن يحرجوا الحكومة بعد أن تنعقد الدورة بطرح الثقة. حصل المأزق، البلد تهمني كما تهم الجميع، فالأردن كان في مهب الريح، والأميركان مصرون على إجراء مفاوضات التسوية، والعرب قبلوا، فأخبرت جلالة الملك بأنني سأستقيل وأن الأفضل ان يتولى أحد غيري، فقال جلالته: سأحل المجلس. قلت يا جلالة الملك: لقد أصبح لدينا ديمقراطية وأخذت مداها في انتخابات نزيهة وان أحد الأسباب التي خففت من عزلتنا أن لدينا مجلس نواب قويا.. كحكومة فاننا مهما عملنا سنبقى تحت التهديد، ولذلك يجب أن أستقيل وبذلك سنحافظ على مجلس النواب وعلى الديمقراطية بتكليف أحد غيري بتشكيل حكومة تبدأ بداية جديدة دون محاسبة. خطأ الحكومة السابقة هي التي تتحمله!!. مرة أخرى لم يقبل جلالته استقالتي وطلب تأجيل الموضوع للغد..وفي اليوم التالي وافق وقدمتها في ١٩٩١/١١/١٩. وشكل الحكومة الأمير زيد بن شاكر.

■ ماذا حققتم في الشهور الخمسة؟

لم أحقق إلا القليل القليل في هذه الفترة المحددة والتي لم تتجاوز الخمسة أشهر. لكن القانونيين في حكومتي يعترفون اننا في الخمسة أشهر ألغينا الأحكام العرفية وقد أخذ هذا القانون وقتاً طويلاً جداً، وأصدرنا قانون أحزاب لأول مرة، وأصدرنا قانون المطبوعات والنشر لأول مرة، كما وعدلنا قانون محكمة أمن الدولة، وألغينا صفقة الميراج التي كان بها رشاوي وبدأنا الإعداد لقانون انتخاب جديد.

■ ندمت على مرحلة رئاستك للحكومة؟

أبداً لم أندم. لكني شعرت بالأسى كيف يمكن أن يحكم على تجربة نواياها حسنة ولديها برنامج اصلاحي يمثل طموح كل الناس ومع ذلك تجري محاكمتها سياسياً على شيء ليس ضمن برنامجها. لكن من يعمل بالحقل العام لا بد ان يتحمل الكثير ويتوقع الأكثر. وطالما أننا نطالب بتطبيق الديمقراطية علينا أن نتقبل كل شيء. عملنا كان كبيراً لكن الفترة القصيرة لم تظهره كما يجب.

رشحت لمنصب رئيس الديوان لكنك اعتذرت:

بعد استقالتي من الحكومة التي شكلها الأمير زيد بقيت وأنا خارج الحكم مع جلالة الملك في اجتماعاته الرسمية. وفي حكومته أخبرني عن رغبة جلالته بتعييني رئيسا للديوان، ولأنني نائب فان مثل هذا المنصب يستوجب استقالتي وإجراء انتخابات في الدائرة الثالثة حتى أصبح رئيساً للديوان، فاعتذرت.

وترشحت كأول رئيس حكومة للمجلس الخامس عشر يخوض الانتخابات النيابية.

نعم، وقمت بعمل حملة انتخابية كأي نائب عادي وليس كرئيس وزراء سابق. وقفت على باب المحافظة الساعة الخامسة صباحاً لأسجل كمرشح حتى يظهر إسمي رقم واحد. المحافظ طلعت النوايسة رحمه الله جعلني أنتظر في الخارج ولم يفتح الباب ولم يعتبرني موجوداً حتى تم فتح التسجيل وقمت بالتسجيل كأول مرشح.

■ هل تحديت من كان يحلم بسقوطك وهم الذين أطلقوا على حكومتك حكومة مفاوضات؟

نعم تحديتهم.. واضيف أيضا انني أثبت انني ما زلت نائبا للشعب رغم كل ما حصل في السابق. نجحت بانتخاب شعبي وكنت من النواب القلائل الذين تضاعفت الأصوات التي حصلوا عليها. واذا ما استثنينا نواب الحركة الاسلامية حيث نال خمسة منهم أعلى الأصوات في المملكة أكون قد حصلت بعدهم على أعلى الأصوات في المملكة أيضاً.. لم اكن اطالب فقط بالفوز، وانما كنت مصراً على أكثر من ذلك وحصلت عليه لثقتي بنفسي وبمشاعر ناخبي.

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

استرا حة

■ قالها الحسين يرحمه الله «ما تعاملت مع إنسان أشرف منك يا طاهر» ما مناسبتها؟

بسبب إصراري على تقديم استقالتي من الحكومة خوفاً من حلّ مجلس النواب وحفاظاً على الديمقراطية.

■ لو أردت الإعتذار لمن تقدمه؟

للشعب والوطن إذا أخطأت.

في الحلقة الأخيرة : طاهر المصري «يخلي ضميره ويتحدث»

بعد استقالتي كرئيس حكومة وقفت في طابور التسجيل للترشح النيابي وحصلت على أعلى الأصوات في المملكة بعد مرشحي الإخوان

❖❖❖

حكومة الخمسة أشهر ألغت الأحكام العرفية وأصدرت قوانين الأحزاب والمطبوعات وألغت صفقة الميراج المشوبة بالفساد